# المحاضرة رقم 05: رواد اتجاه الثقافة والشخصية وإسهاماتهم النظرية والميدانية

## تمهيد

يُعد التعرف على رواد اتجاه **الثقافة والشخصية** خطوة أساسية لفهم تطور هذا الحقل المعرفي، إذ لم يتشكل هذا الاتجاه بوصفه نظرية موحّدة مغلقة، بل تطور عبر إسهامات متعددة لعدد من الباحثين الذين جمعوا بين العمل الميداني الإثنوغرافي والتحليل النفسي والثقافي. وتهدف هذه المحاضرة إلى عرض أهم إسهامات هؤلاء الرواد، مع تحليل أفكارهم الأساسية، وبيان أثرهم في تطور الأنثروبولوجيا النفسية، إضافة إلى إبراز النقد الذي وُجّه إلى أعمالهم.

## أولا: روث بندكت (Ruth Benedict) وأنماط الثقافة

### 1. السياق العلمي والفكري

تُعد **روث بندكت** من أبرز تلميذات **فرانز بواس**، وقد تأثرت بعمق بمبدأ **النسبية الثقافية** .جاءت أعمالها في سياق نقد النزعة التطورية والحتمية البيولوجية، وسعت إلى إبراز خصوصية كل ثقافة وتميّزها.

وقد انطلقت بندكت من سؤال مركزي هو: كيف تختار الثقافة من الإمكانات الإنسانية العامة نمطًا معينًا للسلوك والشخصية؟

### 2. مفهوم أنماط الثقافة

تُعد فكرة **أنماط الثقافة** (Patterns of Culture) حجر الأساس في أعمال بندكت، وترى من خلالها أن:

- كل ثقافة تشكل كلاً منسجمًا
- تنتقي سمات نفسية معينة
- وتُهمّش أو تقمع سمات أخرى

وبذلك، فإن الشخصية الفردية تتشكل داخل إطار نمط ثقافي عام يحدد ما هو مقبول أو مرفوض.

### 3. العلاقة بين الثقافة والشخصية عند بندكت

أكدت بندكت أن:

- الثقافة لا تفرض سلوكًا واحدًا على الجميع
- لكنها تحدد نطاقًا عامًا للسمات الشخصية السائدة

ومن ثم، فإن ما يُعد سلوكًا طبيعيًا في ثقافة ما، قد يُنظر إليه باعتباره انحرافًا في ثقافة أخرى، وهو ما يعزز فكرة النسبية الثقافية.

### 4. النقد الموجّه لأعمال بندكت

رغم أهميتها، وُجهت لأعمال بندكت انتقادات عدة، من بينها:

- ❖ الميل إلى التعميم الثقافي
- ❖ التركيز على الانسجام الثقافي وإهمال الصراعات
- ❖ التقليل من الفروق الفردية

ومع ذلك، تبقى إسهاماتها أساسية في ترسيخ العلاقة بين الثقافة والشخصية.

## ثانيا: مارغريت ميد (Margaret Mead) والثقافة والتنشئة الاجتماعية

### 1. اهتمامها بالطفولة والمراهقة

تُعد مارغريت ميد من أشهر الأنثروبولوجيين الذين ركزوا على: الطفولة، المراهقة، والتنشئة الاجتماعية.

وقد سعت من خلال أعمالها إلى إثبات أن: كثيرًا من السلوكيات التي تُعد "طبيعية" ليست إلا نتاجًا ثقافيًا.

### 2. التنشئة الاجتماعية وتكوين الشخصية

أظهرت دراسات ميد أن:

- ❖ أساليب التربية تختلف جذريًا بين الثقافات
- ❖ هذه الاختلافات تؤدي إلى أنماط شخصية مختلفة

وقد استخدمت هذه النتائج لنقد التصورات النفسية الغربية التي تعمم خبرات ثقافية محددة.

### 3. النوع الاجتماعي والشخصية

من الإسهامات المهمة لميد دراساتها حول:

- ❖ أدوار الجنسين
- ❖ العلاقة بين الثقافة والنوع الاجتماعي
- ❖ تأثير التوقعات الثقافية في بناء الشخصية

وقد بينت أن السمات المنسوبة للذكورة أو الأنوثة ليست بيولوجية خالصة، بل ثقافية إلى حد بعيد.

### 4. الجدل حول أعمال ميد

أثارت أعمال ميد جدلاً واسعًا، خاصة حول: دقة ملاحظاتها الميدانية، ومدى تعميم نتائجها، غير أن هذا الجدل أسهم في تطوير النقاش المنهجي داخل الأنثروبولوجيا، ولم يُلغِ القيمة العلمية لإسهاماتها.

## ثالثا: رالف لينتون (Ralph Linton) وبنية الشخصية الاجتماعية

### 1. مفهوم المكانة والدور

ساهم رالف لينتون في الربط بين: البنية الاجتماعية والشخصية من خلال مفهومي: المكانة الاجتماعية والدور الاجتماعي.

ورأى أن الشخصية تتشكل من خلال:

- ❖ الأدوار التي يؤديها الفرد
- ❖ التوقعات المرتبطة بهذه الأدوار

### 2. الشخصية الاجتماعية

أكد لينتون أن الشخصية ليست مجرد خصائص نفسية فردية، بل: بناء اجتماعي مرتبط بالبنية الثقافية ناتج عن التفاعل اليومي داخل المجتمع، وقد أسهم هذا التصور في تعزيز البعد الاجتماعي لدراسات الشخصية.

### 3. أثره في اتجاه الثقافة والشخصية

شكّلت أعمال لينتون جسرًا بين: الأنثروبولوجيا وعلم الاجتماع وعلم النفس، وساعدت في توسيع مجال الثقافة والشخصية ليشمل الأدوار والمؤسسات الاجتماعية.

## رابعا: أبرام كاردينر (Abram Kardiner) والمؤسسات الثقافية

### 1. المؤسسات الثقافية الأولية

يُعد كاردينر من أكثر الباحثين تأثرًا بالتحليل النفسي، وقد ركز على مفهوم: المؤسسات الثقافية الأولية، ويقصد بها:

- ❖ الأسرة
- ❖ أنماط التربية
- ❖ أساليب الضبط الاجتماعي

ورأى أن هذه المؤسسات تؤثر مباشرة في تشكيل الشخصية القاعدية.

### 2. العلاقة بين المؤسسات والشخصية

ميّز كاردينر بين:

- المؤسسات الأولية (المشكّلة للشخصية)
- المؤسسات الثانوية (المنعكسة عن الشخصية)

وقد ساعد هذا التمييز في تفسير:

- العلاقة بين الثقافة والبنية النفسية
- استمرارية الأنماط الثقافية

### 3. النقد الموجّه لكاردينر

وُجهت انتقادات لأعمال كاردينر، خاصة:

- المبالغة في تأثير الطفولة
- الاعتماد المفرط على التحليل النفسي
- افتراض التجانس الثقافي

إلا أن إسهاماته تبقى محورية في تأسيس هذا الاتجاه.

## خامسا: التقييم العام لإسهامات الرواد

### 1. الإسهامات النظرية

أسهم رواد الثقافة والشخصية في:

- ترسيخ النسبية الثقافية
- نقد الحتمية البيولوجية
- إدخال البعد النفسي إلى الأنثروبولوجيا

### 2. الإسهامات المنهجية

تمثلت إسهاماتهم المنهجية في:

- الجمع بين الإثنوغرافيا والتحليل النفسي
- التركيز على الطفولة والتنشئة
- استخدام المقابلات ودراسة الرموز

### 3. حدود الاتجاه وآفاقه

رغم الانتقادات، مهّد هذا الاتجاه الطريق أمام:

- ❖ الأنثروبولوجيا النفسية
- ❖ دراسات الهوية
- ❖ البحث في الذات والتجربة الفردية

## خلاصة

تشكل اتجاه الثقافة والشخصية من خلال إسهامات متعددة لرواد جمعوا بين التحليل الثقافي والنفسي، وأسهموا في إعادة تعريف الشخصية بوصفها بناءً اجتماعيًا وثقافيًا. ورغم ما وُجه إلى هذا الاتجاه من نقد، فإنه شكّل منعطفًا حاسمًا في تطور الأنثروبولوجيا، وفتح آفاقًا جديدة لدراسة الإنسان في شموليته.